رشيد ياسين المنفوان الراحل

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

سكن الغضب، وبرد توهج الكلمات ، وأخذ اللسان استراحة أبدية، وانسحبت ذاكرة من دفتر الثقافة العراقية، وسيعقبها نسيان مثلما أحاق بتلك الكوكبة المضيئة من كواكب ثقافتنا العربية، ورموزها العراقية.

صفحات من الموهبة والالتزام والتاريخ المتراكم من الوعي والحيوية، سحبها رشيد ياسين الشاعر بهدوء بعد ذلك الصخب الذي وسم حياته كلها، وطبعها بالنقد اللاذع الصادق، ومنحها رهبة واحتراما، وعززها بثقافة منفتحة متنوعة الأبعاد، غير آبه بما يقال عن ضراوة ما يقول وينتقد، ما دام على قناعة بما يرى.

ولو أتيح لأحد أن يراه في سنواته الأخيرة في صنعاء، كما رأيته أنا، لرأى الوداعة والرقة التي افتقدناهما منه في شبابنا، عندما كنا نحرص على انتقاء الكلمات، خشية الغلط الذي لا نعرف مداه، فهو لا يرحم، ولا يؤخر الرد.

في هذه اللحظات المتوترة، وجلال الحزن، لا أملك أن أستعيد مآثر رشيد ياسين الشاعر الرائد بين مجموعة الرواد الخمسينيين، فهي من الكثرة والتنوع ما يجعل ورقة الحزن تغطي على ما سواها. سنتذكره، إلى أن نغيب معه في سفره الطويل.

سلام ورحمة عليه.

قناديل

■ لطفية الدليمي

نصب الحرية والفن العراقي: نقد ورؤيا

المهندس المعماري الحالم ورجل الذاكرة البغدادية التي قلّ نظيرها الدكتور محمد مكية، يروي في كتابه (خواطر السنين) تاريخ مدينة وتحولات وطن وانهيار أحلام وتحقيق سواها في العيش والمشاريع العمرانية والثقافية في العراق وخارج العراق فقد امتدت أنشطة مكية بين البلاد العربية وبريطانيا وترك من إبداعه المعماري معالم بارزة في مدن العراق وجامعاته وجوامعه كما ترك بصماته في الفن المعماري ذي الجذور الإسلامية في كثير من مدن الخليج الحديثة ، يحدثنا بألفة وحنو وكأنه يروي حكايات أسطورية عن مدينته التي عشقها ، يعيد لنا رسم بغداد الثلاثينيات برؤية إبداعية وتذوق غريب للنكهات المحلية التي تنبثق من رائحة البيوت وخصاص الشناشيل وأشجار الحوش الوارفة وعصافيرها وبئر البيت والسقائين ،يتقصى في زوايا ذاكرته المتقدة طرز الحياة أجمعها : البناء والملابس والعادات والتقاليد ونمط العيش المشترك بين الأقارب في بيت كبير واحد وعشق المراهقة الخجول وتطلعات الفتوة ..

يتحدث الدكتور مكية عن تأسيس جمعية الفنانين العراقيين ويقول (لقد تميز عقد الخمسينيات في العراق بمكانة فنية عكست الهوية العراقية العريقة من عهد سومر وبابل وعبرت عن تلك المكانة بظهور جواد سليم والمدرسة البغدادية ومحمود صبري وفائق حسن وآخرين) وكان تأسيس جمعية الفنانين العراقيين في حينها يعد حدثا تاريخيا هاما ، واسهم الدكتور مكية في التأسيس – وهو الذي كان يحضر محاضرات أساتذة الفن البريطانيين الكبار إضافة الى دراسة الهندسة – مدركا للوحدة العضوية بين الفن المعماري والتشكيلي ، فتأسست الجمعية سنة ١٩٥٤– من اجل تحقيق الهوية الفنية العراقية والتعبير عنها والحفاظ عليها من التأثيرات وإبراز هوية متنوعة في إطار واحد ، يقول الدكتور مكية (إن تجربة تأسيس الجمعية كان مشجعا لقيام مؤسسات مدنية خارج الإطار الرسمي ، فالفن مسؤولية الفنان لا مسؤولية وزير او معهد فنون).

برؤية نقدية رفيعة يكتب عن أعمال الفنانين العراقيين، فيعجب بأعمال كثيرة لمحمد غني حكمت لكنه يقول (لقد تنازل فنيا في تمثال المتنبي عندما أظهره قزما يقف على الرصيف في الباب المعظم فالتمثال لا يمت بصلة لشخصية شاعر كبير ودوره في تاريخ الأدب والشعر) ، ويظهر الدكتور مكية إعجاباً كبيراً بجدارية الحرية لجواد سليم لكنه يرفض ارتفاع النصب عن مدى الرؤية البصرية الذي نفذه رفعت الجادرجي وهو ما لم يتمناه جواد – إذ كان جواد (يريد أن يلمس المارة والأطفال لوحته الكبيرة ليزيدوها جمالا وحسا وعاطفة)، وقد اقترح الدكتور مكية حين استشير بموقع نصب الحرية ونوقشت الفكرة مع الفنانين، أن ينعكس ظل الجدارية الكبيرة في بركة ماء لتكون في متناول البصر بحدود النظر فعندها يستطيع المشاهد الإحساس بمنحوتة الأم والطفل وهما من أهم عناصر اللوحة أما ارتفاعها الحالي فقد جعلها كالشبح البعيد ..

للدكتور مكيّة رأي معماري وفني واجتماعي يتعلق بالنصب والتماثيل فهو يفضل الجداريات وهي تقليد سومري عريق ويعتبر الفن السومري اقرب إلى الحداثة من كثير من المدارس الفنية المعاصرة، ويذكر كنوع من المفارقة أن يتأثر عمالقة النحت الأوروبي بالفن السومري مثل (هنري مور) بينما يتأثر فنانون عراقيون بمايكل أنجلو – وتأسيسا على ذلك النبع – صمم جواد سليم شعار جمعية الفنانين من وحي الرافدين مع صورة كوديا السومري، ويكتب الدكتور مكية عن تردي الفن العراقي الذي حرصت الجمعية على مستواه – خضوعا لمعايير السلطة وشعاراتها اليومية بعد ١٩٦٨، فتحول الفن إلى دعاية سياسية ..

متابعة

(المئذنة) في نادي الكتّاب بكربلاء

كربلاء / أمجد علي

الإبداع الذي لا يعني بقضية الإنسان لن يكون إبداعا، والمسرح محاولة لتأصيل قلق الإنسان في الوجود والطبيعية والعلاقة الغيبية مع الأشياء.

بهذه الكلمات بدا القاص والروائي علي لفتة سعيد حديثه في الأمسية التي ضيفه فيها نادي الكتاب بمناسبة صدور مسرحيته (المئذنة) عن إحدى دور النشر السورية والتي بدأها القاص احمد الجنديل في تقديمه لخاصية الكتابة لدى سعيد بقوله انه بدا قاص فأنتج ثلاث مجاميع قصصية بدأها في عام ١٩٨٨ بمجموعته (امرأة من النساء) وتلاها بمجموعته (اليوبيل الذهبي) عام ١٩٨٩ لينتظر عشر سنوات ليصدر مجموعته الثالث (بيت اللعنة) عام ١٩٩٨ والتي فازت بجائزة الإبداع العراقي ليصدر بعدها ثلاث روايات هي (وشم ناصع البياض) عام ٢٠٠٠، و(اليوم الأخير لكتابة الفردوس) عام ٢٠٠٢، وروايته الثالثة التي حملت عنوان (مواسم الإسطرلاب) فصدرت عام ٢٠٠٤، إلا انه عاد لإصدار مجموعته القصصية الرابعة عام ٢٠١٠، والتي حملت عنوان (مداعبة الخيال) وصدرت عن مؤسسة الشمس بالقاهرة لنجد أنفسنا أمام منجز جديد لسعيد، والمتمثل بإدارة مسرحية من فصل واحد نهايات لعام الماضي وحملت عنوان (المئذنة) ليؤكد انه قادر على التوغل في الأنواع الأدبية خاصة وانه أيضا يكتب الشعر وتنشره الصحف العراقية المرموقة.

وتحدّث بعدها الضيف بصورة مقتضبة عن مسرحيته التي قال إنها كانت تعيش القلق الذي يعيشه بطلها وهو مأزوم بما حوله من صراعات وحروب ومعاناة كلها تفضي إلى قلق.. قلق المثقف المبدع الأعزل وسط دوامات من الاحتكار للسلطة من جهة والقاعدة التي تهتف للسلطة، فيما المثقف يعاني أزمة إثبات إن له صوت.. فيلجأ إلى المئذنة كرمز تارة رمز روح وتارة رمز خلاص .. والمئذنة مكان هي أيضا مصدر قلق بدلاً من كونها مصدراً لإيصال صوت الله إلى الإنسيان لكي يرى إنسانيته.. أنها مئذنة تبحث عن خلاص ممن يستغلها بفتاوى القتل من جهة والاستغلال الديني من جهة أخرى، فحتى علاقته مع المئذنة هي متذبذبة بسبب تذبذب الواقع الذي يعيشه..

وقرأ الناقد والقاص جاسم عاصي ورقة نقية جاء فيها: يعتمد نص المئذنة المسرحي على ثنائيات تلعب دوراً مركزياً ليكون الناتج صراعا بين ثنائيات وهذا لم يكن متأتيا من فراغ بقدر ما هو ناتج جدلية الحياة..

القاص والناقد علي حسين عبيد قرأ ورقة نقدية حملت عنوان (إشكالية الوجود والتيه رؤية في مسرحية المئذنة) .

وقرأ الشاعر هادي الربيعي ورقة نقدية قال إنها (قراءة في المئذنة) إن الخطر الأكبر الذي يواجه كل عمل مسرحي يعرض أفكارا كبيرة بشخصيات محددة هو كيف يحافظ الكاتب على تصاعد الإيقاع في مثل هذه المسرحيات وقد أنقذها الكاتب بقوة الحوار وتنوعه وهو وسيلة التي لعبت دورا في التنامي الدرامي..

شهدت الأمسية العديد من المناقشات التي شارك فيها جميع غفير منهم المحامي كامل المسعودي وعلي الخفاف ومهدي النعيمي والدكتور عباس التميمي وستار الكركوشي والفنان امجد حميد والمؤرخ المسرحي عبد الرزاق عبد الكريم والصحفي جعفر النصراوي وآخرون.

وظيفة الإسطورة

عندما تبرر نظاما اجتماعيا قائما

د. طالب مهدي الخفاجي

ظن الكثيرون بأن الأدب العربي خلو من الأساطير وأن عربية حقيقية من الخرافات وقد أكد المشرق (لامانس) عدم وجود ميثولوجيا اليونانية وقال (شايلا) إلى قرب من هذا الظن مؤكداً أن كلمة أساطير لم ترد غير القرآن الكريم . ولم تستخدم إلا في معنى الاسطورة . فهي حكاية الأزمنة الخرافية والبطولية وهي حكاية وهمية في اسلوب مجازي ، تبسط معارف تاريخية وجسدية وفلسفية عامة وهي التاريخ في صورة تنكرية وهي "فكرية بدوية تاريخية صيغت بصيغة الأطباب والمقالات لإظهار أهمية الحادثة الحقيقية في جيل زال أثره من ذهن الناس" .

هذه التعريفات المختلفة تشترك في أمرين هما: أن الإسطورة "

أولاً : حكاية وأنها ثانية تتحدث في عالم وهمي يرمز إلى أشياء وأحداث حقيقية كن محلافو أو مضخمية ، وانطلاقاً من هذا الاستنتاج ، ومما نعرفه من أساطير يتضح لنا أن الاسطورة كالشعر السوريالي نوع من التعبير عن أحلام الشعوب وعقولهم . فالعقل الباطن يتمثل أكثر ما يتمثل في عالم الأشباح وتفر منه الأنا من قيد الواقع وتنتظمه حبكة قصصية مشوقة . والاسطورة عند الباحث (وليم رايتر) أنها نسق الخيال الذي يستطيع وبشكل مستقل عن الصيغة العلمية للافتراض الذي قد نشكل أساسه (وليم رايتر) ، الاسطورة والأدب / ترجمة صبار سعدون / بغداد . ١٩٩٢ ، ص١٩).

وخلاصة القول أن العلماء ذهبوا مذاهب شتى فمنهم من رأى في الاسطورة حكايات القدماء في الدين مثل ، (روينوفانيس) ، ورأي سقراط أن صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل الأصنام . ومنهم من ذهب إلى استنباط فلسفة ا\لولين منها مثل (تياجنس) الذي سلك مسلك أصحاب التشبيه والمجاز (عبد المعيد خان) الأساطير والخرافات عند العرب (بيروت . ١٩٨١، ص١٦) .

أن مصطلح الاسطورة لا يزال يدور حوله الجدل . جاء ذلك في كتاب (الاسطورة والنظريات الميثولوجية في الغرب "ليس هناك من تعريف حرض واحد للاسطورة ، نظراً لكون الأساطير تخدم أغراضاً مختلفة كثيرة . وكان الغرض الأول تفسير ما هو غير قابل للتفسير . فمنذ بداية وجود الجنس البشري عملت الأساطير لتكون تبريرات لغوامض الحياة الأساسية ، أسئلة من قبيل ، من صنع العالم؟ كيف سينتهي؟ من أين جئنا؟ من كان أول إنسان؟ ما الذي يحدث حين نموت؟ لماذا تنتقل الشمس عبر السماء كل يوم ؟ لماذا يكبر القمر ويتضاءل؟ ...

في غياب المعلومات العلمية من أي نوع ابتكرت مجتمعات الزمن الغابر في جميع أنحاء العالم ، أساطير الخلق أو أساطير الانبعاث والأنظمة المعقدة لكانت فوق طبيعية لكل منها قوى معينة وقصص حول أفعالها . وبما أن الناس كانوا في الغالب معزولين بعضهم عن بعض . فإن معظم الأساطير نشأت على نحو مستقل غير أن الأساطير المتنوعة متماثلة بصورة مدهشة خاصة أساطير الخلق.

وهكذا كانت الحاجة إلى الاسطورة حاجة عالمية أو شاملة ، وبمرور الزمن ستصبح رواية واحدة لاسطورة من الأساطير ، المعيار المقبول الذي انحدر إلى أجيال لاحقة أولاً من خلال القص ومن ثم فيما بعد كثيراً . وضع ذلك في شكل مكتوب . وكان من المحتم أن تصبح الأساطير جزءاً من أنظمة الدين ودمجت بالشعائر والاحتفالات الدينية التي كانت تتضمن الموسيقى في الرقص والسحر.

والوظيفة الثانية للاسطورة هي تبرير نظام اجتماعي قائم ، وتفسير طقوسه وتقاليده ، وإحدى القواعد الثابتة للميثولوجيا أو علم الأساطير . أن كل ما يحدث بين الآلهة يعكس الأحداث على الأرض . وبهذه الطريقة فإن أحداثاً مثل الغزوات والتغيرات الاجتماعية الأساسية أصبحت مندمجة في الأساطير . كما أن بعض الأساطير خاصة تلك التي من الإغريق والرومان وفترات القرون الوسطى ، وتقوم بدور إيضاح المبادئ الأخلاقية بالأمثلة وبشكل متكرر من خلال الأعمال البطولية التي يقوم بها البشر الفانون .

وقد استخدمت الأسطورة لإغناء الأدب منذ أخيلوس واستخدمها بعض الشعراء الإنكليز الكبار ، أن العلاقة بين الاسطورة والأدب علاقة متينة . وجاءت الإشارة إلى كتاب الاسطورة والنظريات الميثولوجية إذ جاء فيه : وقد استخدمت الأسطورة لإغناء الأدب منذ زمن أخيلوس واستخدمها بعض الشعراء الإنكليز الكبار (ملتون ، شلي ، كيتس على سبيل المثال) وأنشأت بعض الشخصيات الأدبية الكبيرة مثل وليام بليك ، وجيمس جويس وكافكا ، ويتس ، و.ت/س ، اليوت ، ووالاس ، واستفنن ، عن وعي ، أساطير شخصية مستعملين في ذلك المواد القديمة ورموز منشأة على وعي جديد . لقد اجتذت أدب القرون الوسطى اهتمام المذهب النقدي المستند إلى الأسطورة. الشعيرة وخاصة سلسلة المائدة المستديرة المندمجة بالأدب والموروث الميثولوجي (السيلتي / Celtie) بين المؤلفين الآخرين الذين يحظون باهتمام خاص هناك هـ . ميلفل ، كونه مؤلف رواية (موبي ديك) فضلاً عن (د. ديفو) (س.ت . كولبردج) كيتس ، وأتنسون / و.ن هاردي ، و.ن هاوثورن ، و/ز ثورد / وا.س كريم و.ف.و.ج كوزاد حتى ستندال وأميل زولاد .

ففي أعمال هؤلاء المؤلفين الموضوعات ميثولوجية شعورية ولا شعورية ورموز واستعارات . وهناك بالطبع نماذج شعائرية معينة يعاد خلقها على الدوام في الأدب وعلى الأخص أمثلة طقوسية . ويفترض أنها متأصلة في النموذج البدني السايكولوجي الباطني للموت والبعث (فرانك / الأسطورة والنظريات الميثولوجية في الغرب) (بغداد . ٢٠٠٥ ، ص ٧٥) .

لقد شهد القرن العشرون اتساعاً في الأسطورة إلى ما وراء الأدب والنقد الأدبي . فتجد أن مفهوم الأسطورة يتضمن في بعض الأحيان ايديولوجية سياسية مكتسباً كما يحدث له في الغالب دلالة سلبية وأخذ (ارنست كاسيرر) وتوماس فإن يتحدثان عن أساطير سياسية ، فقد حاول (فان) في رباعيته (يوسف وأخوته) أن يعارض الأسطورة بالأسطورة .

وكتب ، ر. ينبر ، ج ، سوريل ، ح ماركوس ، م. ايلياد وبارت ، ومؤلفون آخرون عن أساطير سياسية . فالأساطير تنشأ كما يرى (بارت) ، لأن الأسطورة هي ما يحول التاريخ إلى ايديولوجية . ويجب أن لا تكون الأسطورة تزييفا " شعورياً أنها بالأحرى تقصد منحاً فعال فيه من خلال تضخيم اللغة الطبيعية ولذلك فضمن الأسطورة يدرك بعض التعارضات بين (Signans Signatum) ، على أنها طبيعية وكذلك الحال مع استبدال القيم بواسطة الحقائق . ويعد بارت العصر الحديث مستقبلاً بشكل خاص لكل أنواع الميثولوجيا لأن المجتمع البورجوازي في الوقت الذي يعد فيه نفسه حراً (أسطورة الديمقراطية البورجوازية) (فرانك /ن.م/ ص٧٥.٧٧) .

وبعد هذه الرحلة أتضح لنا أن جميع الذين كتبوا عن الأسطورة أكدوا وأتفقوا على أنها تعني الأباطيل والأكاذيب والأحاديث التي لا تصدق ولا نظام لها. أما في العلوم الحديثة فالأسطورة علم بدائي أو تاريخ أولي أو تجسيد شعوري أو غير شعوري والأمر أكبر مما ظنه الأديب الفرنسي فولتير حينما قال : إنما يقوم بدراسة أساطير الحمقى وجوهر الأسطورة هو التعبير عن المقدس وقد بدأت الأساطير من خلال الشعائر . وهدفت إلى الإجابة عن أسئلة تتعلق نشأة العالم وبدايات الحياة البشرية مصير الإنسان بعد الموت . وتعد الأسطورة مقدمة لعصر الفلسفة فقد كانت الفلسفة في بداياتها قراءات رمزية للأساطير وبما أن الأسطورة حكاية مقدسة انبعثت عن الشعائر الأولى ، فقد امتلكت سلطة كبيرة على عقول الناس ونفوسهم وعلى السلوك العام وكانت تلك السلطة تترسخ من خلال المنظومة الدينية التي تنتمي إليها الأسطورة .

رولان بارت

ارنست كاسيرر